أشكال المسرح المغاربي

يعدّ المسرح، بعدّه طقسا احتفاليا، فترة راسخة عند جميع الشعوب، وشكلا من أشكال وعيها، عرفه المغرب العربي ومارسه قبل أن تحمله إليه رياح المثاقفة الغربية؛ حيث وُجدت العديد من الأشكال الفرجوية التقليدية ما قبل المسرحية، ولعل أهمها:

– **الحلقة:** تعد الحلقة أهم فضاء طقسي ومظهرا من مظاهر الثقافة المغربية، وشكلا أبدعه الإنسان المغربي، وطوره على امتداد تاريخه، أخذت اسمها من شكلها الهندسي الذي يكون على شكل دائرة مغلقة، يتوسّطها الحلايقي المختص في فن الحكاية والإماءة والألعاب البهلوانية، تقوم أساسا على الخطاب الشفوي؛ أي التواصل غير المكتوب بين الحلايقي وجمهوره المتحلّق حوله، الذي يكتفي بالاستماع والتفرّج أو المشاركة، ما يعني أنّ أهمّ مميزات الحلقة اعتمادها اللغة الشعرية الشفوية المنطوقة، في تواصلها مع المتفرّج الذي إمّا مشاهدا أو عنصرا فعّالا مشاركا فيها، ولا تتقيّد الحلقة زمنيا بوقت محدّد، فقد تطول أو تقصر، يقدّم من خلالها الحلايقي فرجة كاملة، يلتقي فيها الضّحك، والهزل، والدراما، والشعر، والغناء، والرقص، والحكاية، مما يجعلها فرجة تقوم على الإدهاش والإثارة والمشاركة.

– **البساط:** كان هذا الفن الفرجوي مناسبة لإعلان كلّ مكبوت وتفريج كل الهموم وفضح الممارسات التعسّفية، التي كانت تنتهك من قبل الحاكم حول الرعية، كونها طقسا يقدَّم أمام السلطان أو الحاكم، بأسلوب انتقادي تهكّمي يراوح بين التضمين والإيحاء، ويتميز هذا الفن كون الممثل يحمل تسمية خاصة **بوهو**.

أما الشخوص الأخرى، فهي شخصية **البسّاط** رمز القوة والشجاعة، وحب الإقدام والمغامرة، ثم شخصية **الياهو** رمز النفاق، والجشع، والخوف، والذكاء المفرط، وفي مقابل الشخصيتين نجد **حديدان** المتميّز بأوصاف حميدة كنسيان الذّات، وطهارة النفس، وحبّ الآخرين... إلى جانب أنه يحمل رسالة صاحب التمثيلية، كما أنه يمسك بأطراف الحادثة وألغازها.

وعلى الرغم من أن الشخصيات هي نفسها في فن البساط، فإنّ موضوعها يتجدد ويتغير باستمرار، ما يؤكد أن البساط وإن كان فنا شعبيا، ينطلق من الشعب ويوجّه إليه، إلا أنه كان فرجة قائمة على جانبين: يتمثل الأول منهما في التسلية والترويح عن النفس، في حين يفضح الثاني عيوب المجتمع وممارسات الظلم المسلّطة عليه.

– **سلطان الطلبة:** ارتبط هذا الفن بطلبة الجامعة، وهو عبارة عن احتفال موسمي، سنّه **السلطان العلوي المولى الرشيد** تكريما للعلماء والطلبة مكافئة على مساعدته في الانتصار على **أبي مشعل** المضطهد لسكان مدينة **تازة**، وكذا مواجهة أخيه، الذي كان مزاحما له في الحكم، يقوم هذا الحفل بأن يتيح السلطان للطلبة فرصة اختيار واحد منهم سلطانا يحكمهم أسبوعا كاملا، وبعد أن يستمر الاحتفال لأسبوع يتقدم سلطان الطلبة في نهايته، ببعض المطالب للملك الحقيقي ثم يغادر عرشه، وإلا تعرّض للسخرية والضرب من قبل زملائه، لإشعاره بزيف ملكه، وبهذا تتحقق أهم الوظائف التي يخلقها هذا الاحتفال، المتمثّلة في إزالة الفوارق ولو مؤقتا بين الراعي والرعية؛ بحيث تُعكس الوظائف فيصبح الملك إنسانا عاديا ويعتلي العرش شخص من عامة الناس، وإن كان من الفئة المثقفة المتمثلة في الطلبة، ويقوم التمثيل في هذه الفرجة على الارتجال، فليس هناك نص مكتوب، وإنما نحن إزاء مجموعة من الممثلين، يصنعون بحركاتهم وبإماءاتهم وقصائدهم وخطبهم، عناصر ظاهرة درامية تقليدية.

هذه، إذن، هي أهم الأشكال الفرجوية التي وظّفها واهتم بها المغاربة في مجال التأصيل للمسرح، كونها تمثّل بداياته الأولى؛ حيث عمد العديد منهم كتّابا كانوا أم مخرجين إلى استدعاء العديد من هذه الأشكال المسرحية التي مارسها الإنسان المغربي، فسعوا إلى توظيفها في نصوصهم الدرامية وعروضهم المسرحية.

المراجع:

– حسن المنيعي: أبحاث في المسرح المغربي، مطبعة صوت مكناس، المغرب، 1974.